

تفسير البحر المحيط

@ 124 @ الهاء ، فانقلبنا حاء ؛ كما قالوا : ذهب محم ، يريد معهم ، { سَائِقٌ } :
جاث على السير ، { وَشَهِيدٌ } : يشهد عليه . قال عثمان بن عفان ، ومجاهد وغيره :
ملكان موكلان بكل إنسان ، أحدهما يسوقه ، والآخر من حفظه يشهد عليه . وقال أبو هريرة :
السائق ملك ، والشهيد النبي . وقيل : الشهيد : الكتاب الذي يلقيه منشورا ، والظاهر أن
قوله : { سَائِقٌ وَشَهِيدٌ } اسما جنس ، فالسائق : ملائكة موكلون بذلك ، والشهيد :
الحفظة وكل من يشهد . وقال ابن عباس ، والضحاك : السائق ملك ، والشهيد : جوارح الإنسان .
قال ابن عطية : وهذا يبعد عن ابن عباس ، لأن الجوارح إنما تشهد بالمعاصي ، وقوله : كل
نفس يعم الصالحين ، وإنما معناه : وشهيد بخيره وشره . ويقوى في شهيد اسم الجنس ، فشهد
بالخير الملائكة والبقاع ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم) : (لا يسمع مدى صوت المؤذن إنس
ولا جن ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة) . وقال أبو هريرة : السائق ملك ، والشهيد العمل .
وقال أبو مسلم : السائق شيطان ، وهو قول ضعيف . وقال الزمخشري : ملكان ، أحدهما
يسوقه إلى المحشر ، والآخر يشهد عليه بعمله ؛ أو ملك واحد جامع بين الأمرين ، كأنه قيل :
كأنه قيل : ملك يسوقه ويشهد عليه ويحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالإضافة
إلى ما هو في حكم المعرفة ، هذا كلام ساقط لا يصدر عن مبتدء في النحو ، لأنه لو نعت كل
نفس ، لما نعت إلا بالنكرة ، فهو نكرة على كل حال ، فلا يمكن أن يتعرف كل ، وهو مضاف إلى
نكرة . .

قوله عز وجل : { لَّسَّ قَدَّ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ
فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ } * وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ *
أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مِّنْ زُجَّاجٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ
مُّرِيدٍ * اللَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعُدَابِ
الشَّدِيدِ * قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلاَ كُنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ
بَعِيدٍ * قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ *
مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَىَّ وَمَا أَزَا بِظُلَمٍ لِّلْعَبِيدِ * يَوْمَ نَقُولُ
لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ * وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ
لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَٰذَا مَا تُوَعَّدُونَ لِّكُلِّ أَوْسَابٍ حَفِيطٍ *
مِّنْ خَشْيَ الرَّحْمَٰنِ الْغَيبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مِّنْ غَيْبٍ * ادْخُلُوهَا
بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ * لَهُمْ مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ

}. . .

قرأ الجمهور : { لَّـقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ } ، بفتح التاء ، والكاف في كنت وغطاءك وبصرک ؛ والجحدري : بكسرها على مخاطبة النفس . وقرأ الجمهور : { عَنكَ غِطَاءٌ } فَبِمَـرْكٍ { ، بفتح التاء والكاف ، حملاً على لفظ كل من التذكير ؛ والجحدري ، وطلحة بن مصرّف : عنك غطاءك فبصرک ، بالكسر مراعاة للنفس أيضاً ، ولم ينقل الكسر في الكاف صاحب اللوامح إلا عن طلحة وحده . قال صاحب اللوامح : ولم أجد عنه في { لَّـقَدْ كُنْتَ } . فإن كسر ، فإن الجميع شرع واحد ؛ وإن فتح { لَّـقَدْ كُنْتَ } ، فحمل على كل أنه مذكر . ويجوز تأنيث كل في هذا الباب لإضافته إلى نفس ، وهو مؤنث ، وإن كان كان كذلك ، فإنه حمل بعضه على اللفظ وبعضه على المعنى ، مثل قوله : { فَلَاَهُ أَجْرُهُ } ، ثم قال : { وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } . انتهى . .

قال ابن عباس ، وصالح بن كيسان ، والضحاك : يقال للكافر الغافل من ذوي النفس التي معها السائق والشهيد ، إذا حصل بين يدي الرحمن ، وعاین الحقائق التي لا يصدق بها في الدنيا ، ويتغافل عن النظر فيها : { لَّـقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا } : أي من عاقبة الكفر . فلما كشف الغطاء عنك ، احتدّ بصرک : أي بصيرتك ؛ وهذا